

ملحمة الفلاح المصرى

أ.د. حامد طاهر

فى أعمق أعماق الغابات

وقبل مجيء التاريخ بآلاف السنوات

كان يسير بلا هدف

إلى من شربة ماء

أو حبة فاكهة

أو بعض الحشرات

وأخيرا وجد النيل

يسير مهيبا في خطوات متدات

تتقاذف فية عشرات الأسماك المضيئات

وعلى جنبه نخل يعلو ،

ويطاول هامات السحب البيضاء

ألقي بالجسد المنهوك على طين الأرض السمراء

وصارت جنته العذراء !

في اليوم التالي حمل الفأس الفولاذية

وهوي نحو الأرض يقبلها ، ويقبلها ..

فتبادل أطياب ما فيها من خيرات

أطنان القمح، وأجولة الفول ،

وأصناف الخضراوات

وبداخل منزله

راح يربي بعض البقرات

بقرات كانت تمنحه اللبن المصافي ،

والجلباب الدافئ ، والدهنيات ..

كان الفلاح المصري بسيطاً

يزرع ، يحصد ، ويزوج

في خاتمة الموسم أولاده

ويبارك في أروقة المعبد أحفاده

محتملا أغلي ما يملك للكهنة من قربان

ملتزما بالسجدة للفرعون

إذا ما مر بموكبه العائم

بين الشطآن !

ظل الفلاح المصري صموتا

لا يتكلم حتي حين تؤرقه الكلمات

وخلوقا يسعى في دعم الضعفاء

ويجلس بجوار النيل يصلي ..

في زمن القحط ،

وحين يفيض الفيضان

وإذا أوقف في محكمة الموتى

أقسم أن يديه ما لوثتا النيل ،

ولما ألقى فيه أهواء المشوفان !

كان الفلاح المصري خبيراً

بخبايا الأرض السمراء

يعرف كيف تجود ؟

ومتي تلفحها الشمس الغضبي ،

فتشققها ؟

وبأي مدار يفرشها البدر إذا اكتمل

بضوء مملوء بالأزهار

لكن الفلاح المصري تفاجأ يوماً

من أيام المصيف المحارقة .. بجيش جرار

هاجم من ناحية الشرق

وشتت حامية الجند .. بلا إنذار

وتوصل للفرعون الأعلي ،

أسقطه من أقوي برج فوق الأسوار

سقط الفرعون جذاذات ، وأساور فضيات ، ونضار !

وتبددت المعتقدات المحفورة

في أعمدة المعبد ، والمأ حجار ..

لكن الكهنة نفخوا في المبخرة الكبرى ،

واعتبروا الغازي ملكا ، وألها ، وسليل الأقدار !

رجع الفلاح المصري إلي منزله الطيني ،

وراح يحدق في أطفال من غير عشاء

ورأي نظرة زوجته ترمقه باستجداء

لم يعرف طعم النوم ، طول الليل ،

وحين تبدي الفجر ، مشي نحو الأرض السمراء

يقاسمها الشكوي والإعياء

ويوفر ما تنتجه للغرباء

حتي المسنبلة الصفراء !

فإذا جن الليل

سرى فوق المشط

وأخرج من أعماق الروح

مواويل الصبر الصماء !
